وحدة يسوع

«... إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟» (متى ٢٧: ٤٦).

تأليف: ادي كلور

يكشف التاريخ أن أعظم الناس على مر العصور كانوا وحيدون إلى حد ما. لقد أنتجوا أعمالهم العظيمة وفكروا أفكارهم الاستثنائية في حدود طريقة حياة لا يفهما إلا قليلون. تنطبق هذه الصفة أيضاً على مخلصنا، الذي وصفه إشعياء في النبوءة بانه «... رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ» (إشعياء ٥٣: ٣).

لم تتضح وحدة يسوع أكثر منها عند الصليب حيث لم يتخلي عنه الإنسان فحسب، بل الله نفسه تركه أيضاً. أتت صرخته الثاقبة «... إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟» بعد ست ساعات من المعاناة على الصليب. هذه إحدى عباراته السبع التي قالها من على الصليب والمدونة في كل من إنجيلي متى (٢٧: ٤٦) ومرقس (١٥: ٣٤). واجه يسوع آلامه وحده، وعند اقتراب نهاية تلك الآلام المميتة اقتبس أول آية من الأصحاح ٢٢ من سفر المزمور لكي يعبر عن مدى الظلمة والرعب اللذان كان يمر بهما. نجد في المزمور الذي ملأ قلب الرب أحد أوضح التفاسير لحياته ولمقاصده المسيانية. بسبب قوة سؤاله وأهميته قدم لنا اثنين من كُتَّاب الأناجيل الكلمات التي نطق بها يسوع في اللغة الأصلية: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» ثم ترجماها بعد ذلك: «إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟» لا شك أن هذا الصراخ يوضح الكرب الروحي والجسدي اللذان احتملهما مخلصنا من أجلنا وهذا أكبر دليل لمحبته لعالم الخطاة هذا.

ولكن لم يعرف أحد من المشترين
مدى عمق المياه التي تم عبورها
ولا مدى ظلمة الليل التي مر بها الرب
قبل أن يجد خرافه التي ضلت.

عندما نتأمل في هذا السؤال الذي نطق به مخلصنا يسوع، ندخل الى قدس أقداس آلام المسيح. لنتأمل في هذه الكلمات التي صرخ بها.

الكلمة الأولى هي «إيلِي» (ἠλι)، وقد نطق بها مرتين. صرخ يسوع قائلاً: «إِلهِي، إِلهِي» لم تكن كلماته مجرد سؤال، بل كانت صلاة. كتب كُتَّاب الأناجيل سبع جمل نطق بها يسوع خلال الوقت الذي قضاه على الصليب. كانت ثلاث منها صلاة. في تلك الآلام الساحقة التي لا شك انها جعلت الملائكة تلهث بدهشة، قدم مخلصنا أقصر رثاء والأكثر تحيراً في التاريخ.

الكلمة الثانية هي «لماذا». هذه اللحظة الخاطفة بين الأزلية والأبدية هي الوقت الوحيد الذي ورد في سجلات الإنجيل والذي فيه نظر يسوع نحو السماء وسأل الله قائلاً: «لماذا؟» عندما نتأمل في هذا يمكننا أن نقول ببساطة أن هذا الشخص الذي كان يموت هناك لم يكن إنساناً عاديا. وموته لم يكن عملية صلب عادية. ما الحدث الذي يكون كبيراً الى هذا الحد، ويشتت الأرض إلى هذا الحد، والذي يجعل ابن الله يخرق قبة السماء بهذا السؤال الساحق للقلب.

الكلمة الثالثة هي «تَرَكْتَنِي» {وقد وردت هذه في صيغة المضارع التام (مما يدل على وقوع حدث وما زالت نتيجته قائمة أثناء الحديث)}. كان التعذيب الذي يختبره يسوع على الصليب قريباً من نهايته. لم يكن سؤاله: «هل ستتركني؟» بل «لماذا

تركتني؟» كان يتحدث على ما قد حدث له. لقد كان يقيس المسافة التي قطعها عبر الوادي الذي عبر من خلاله. كان يصف الظلمة والوحشة الغامضة التي قد احتملها. ههنا المكان الوحيد في النصوص المقدسة حيث صور يسوع بكلماته كيف كان الصُلب! الفاعل هنا هو الله الذي ترك يسوع. كان باستطاعة يسوع أن يقول ليهوذا بسهولة: «لماذا أسلمتني/خُنتني؟» وكان باستطاعته أن يسأل: «يا بطرس، لماذا أنكرتني ثلاث مرات؟» وكان باستطاعته أيضاً أن يسأل جميع تلاميذه: «أين كنتم عندما كنت في أمس الحاجة إليكم؟ لماذا هربتم؟» ولكن للعجب لم يطرح أي من هذه الأسئلة. كلا! بل طرح سؤاله الى لله! التفت إلى الله القدير الذي يعتني بذويه دائماً؛ والذي يدافع عن الأيتام والأرامل والمظلومين؛ الله العظيم الذي لم ولن يخفق أبداً في تتميم وعد. لقد طرح هذا السؤال الفاحص لمن هو صديق الأبرار ومخلص الخطاة. كيف يمكن لله الآب أن يترك يسوع ابنه الوحيد والفريد؟ لم يكن سؤال يسوع هذا يختص بالتأديب. ولم يكن يستفسر عن استجابة تأخرت ولا إجابة يتم الامتناع عنها حتى الوقت المناسب. بل كان يصلى أن أباه قد تخلى عنه تماماً. أشدَّ لهيب الألم الذي قد تتصوره عقولنا هو ألم الإنفصال عن الله. يسوع (ابن الله الطاهر والأقنوم الثاني في الثالوث الأقدس) لم يكن قد اختبر أبداً لحظة انفصال عن الشركة مع أبيه. لا شك أن اختباره لهذه العزلة الباردة المأساوية عن شخصية الله وتدبيره هو أصعب وجه من وجوه الصليب. وضمير المتكلم في هذه الكلمة {«تركتني»} عائد إلى يسوع. قد نتصور اللص الذي لم يطع الله حتى انفاسه الأخيرة يسأل قائلاً: «لماذا تركتني يا الله؟» عندما وصل إلى نهاية هذه الحياة ونظر إلى أبدية خالية وبلا رجاء لا نهاية لها وبلا اله، يحتمل انه صرخ لله عن رعب الإنفصال عنه إلى الأبد. ولكننا لا نتخيل أن يسوع نفسه يطرح هذا السؤال! لم نكن نتوقع أبداً أن يأتي هذا السؤال من يسوع! ولكن هذا ما حدث فعلاً. الذي صرخ بهذا هو يسوع ابن الله القدوس والمسيا والذي أقام لعازر من الأموات والشافي والطبيب العظيم. الذي قدم هذه الصلاة هو ابن الله الكامل والذي بلا خطيئة والمطيع والأمين. من يتصور هذا؟

قد تختبيء الشمس في الظلام،
وتحجب مجده،
عندما مات المسيح، مات الخالق القدير
من أجل الإنسان، أخطأت له الخليقة.

صراخ يسوع العجيب هذا يوضح انه كان هناك أكثر من آلام جسدية فقط عند الصليب. نعم، كانت هناك آلام (آلاماً أكثر مما نستطيع ادراكها)، وكان معنى الصليب أبعد بكثير عن الآلام. لم يكن الصليب ما شعر به يسوع فقط، بل ما قد فعله. وقع حدث عظيم، حدث الله/إنسان، الحدث الذي كان محور الأبدية والزمان. أسلم يسوع نفسه ليُصلب، محتملاً غضب السماء وغضب جهنم بإرادته عندما قدم نفسه من أجل خطايانا. حمل في نفسه خطايا كل الزمان انتهاكات مشيئة الله منذ أول خطيئة التي ارتكبها آدم وحواء وإلى كل لحظة من التاريخ إلى نهاية الزمان. حمل الخطايا التي كدسها كل منا، ووضعها على ظهره وخرج بها من حضرة الله، كما لو كانت في سلة الغفران.

❖-❖-❖-❖-❖

«... حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ. الَّذِي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ» (١ بطرس ٢: ٢٤).

«فَإِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَ الْمَسِيحِ، نُؤْمِنُ أَنَّنَا سَنَحْيَا أَيْضًا مَعَهُ ... لأَنَّ الْمَوْتَ الَّذِي مَاتَهُ قَدْ مَاتَهُ لِلْخَطِيَّةِ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَالْحَيَاةُ الَّتِي يَحْيَاهَا فَيَحْيَاهَا لِلهِ. كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتًا عَنِ الْخَطِيَّةِ، وَلكِنْ أَحْيَاءً لِلهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (رومية ٦: ٨-١١).

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩